

النفسير المطول - سورة البقرة 002 - الدرس (48-95): تفسير الآيات 142 - 147 ، الدين الإسلامي هو دين الوسطية لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 16-07-1999

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الثامن والأربعين من دروس سورة البقرة .

الله سبحانه وتعالى حينما كلف الإنسان حمل الأمانة جعله مخيراً:

مع الآية الثانية والأربعين بعد المئة وهي قوله تعالى :  
**( سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) )**

أيها الأخوة الكرام، في هذه الآية نقاط كثيرة، من أبرز هذه النقاط أن الله سبحانه وتعالى حينما كلف الإنسان حمل الأمانة جعله مخيراً:

**( وَكُلُّ وِجْهَةٍ هُوَ مُؤْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ )**

( سورة البقرة الآية: 148 )

وقال:

**( فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ (29) )**

( سورة الكهف )

وقال:

**( لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ )**

( سورة الأنعام )

تؤكد هذه الآيات كلها أن الإنسان مخير، وإذا سعد الإنسان بهذا الاختيار فلأن الله شاء له أن يختار، إذا اختار طاعة الله عز وجل والتقرب منه استحق دخول الجنة .

## الإنسان مخير في حدود ما كلف:

لولا أن الله سمح له أو أذن له أن يكون مختاراً لما اختار، وهذا معنى قوله تعالى :

( وَمَا شَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ )

(سورة التكوير)

لولا أن الله شاء الله لكم أن تكونوا أصحاب مشيئة حرمة لما شئتم، إذا لأن الإنسان حمل الأمانة، وكفطاعة الله عز وجل، كان مخيراً من أجل أن يثمن عمله، ولكن الله طريق الإرادة، أي شيء يعطيك إياه يأخذ منه في آية لحظة، فالإنسان في الأساس مسير حينما يولد، مسير في أمه وأبيه، وعصره وزمانه، ومكانه وقراته، وما إلى ذلك مما ليس له اختيارٌ فيه، وهذه الأشياء التي سيرت فيها هي أكمل شيء إليك، ليس في إمكانك أبدع مما أعطاك، ثم أنت مخير في حدود ما كلفت.

أنت مخير في دائرة التكليف افعل ولا تفعل، أمرك أن تصلي، بإمكانك أن تصلي وأن لا تصلي، أمرك أن تكون صادقاً، بإمكانك أن تصدق أو أن تكذب، أمرك أن تغض البصر، بإمكانك أن تغض وأن تطلق، أنت مخير في حدود ما كلفت، ولكن ولأن الله رب العالمين، من أجل أن يربيك تربية تقيك دخول النار، لو أنك اختارت اختياراً غير صحيح لأدبك الله عز وجل .

## مع التأديب يسلب الإنسان اختياره ليؤدب أو ليكافأ :

كيف يؤدبك الله؟ يأخذ من كل ذي لب لـه، ثم يسوقه إلى مصيبة، أنت الآن مسير، مسير بدفع ثمن اختيارك، فكنت مسيراً حينما ولدت، من قبل أمك وأبيك، فكونك ابن فلانة وابن فلان، أنت فيما مسيراً، وولدت في دمشق مثلاً، وفي عام كذا، أنت فيه مسير، وقدر انك كذا وكذا أنت فيه مسير، ثم حملت الأمانة، وحملت أن تكون مخيراً فيما كلفت، حينما تستخدم هذا الاختيار بشكل غير صحيح يأتي التأديب رحمة بك، مع التأديب يسلب الإنسان اختياره ليؤدب أو ليكافأ، وهذا هو معنى قول النبي الكريم:

(( إن الله تعالى إذا أحب إنفاذ أمر سلب كل ذي لب لـه ))

[الجامع الصغير عن ابن عباس]

لماذا حولت القبلة الآن من مكة المكرمة إلى بيت المقدس؟ لأن قريش قالت: هذه الكعبة ليست بيت الله إنها بيتنا وبيت آبائنا وأجدادنا . والأصنام من حول الكعبة، فلحكمة أرادها الله عز وجل أمر بتحول القبلة من مكة المكرمة إلى بيت المقدس .

وقال اليهود: يعارض ديننا ويوجه إلى قبالتنا . أراد الله عز وجل أن يكون الإسلام شاملاً لكل الأديان، فتوجه إلى بيت الله الحرام:

( إِنَّ أُولَئِنَّ بَيْتٍ وُضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَيْكَةً مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ )

(سورة آل عمران)

ثم أمر بالتوجه إلى بيت المقدس، المكان الذي جاءت فيه نبوات سيدنا موسى وعيسى، ثم حولت القبلة إلى مكة المكرمة ثانية، فهؤلاء الذين رأوا أن القبلة حولت من مكان إلى مكان، هم عند الله سُفهاء، علم الله عز وجل أنهم سيقولون، قال:

( سَيَقُولُ (142) )

حينما نزلت هذه الآية هل قالوا؟ لم يقولوا، السين للاستقبال:

( سَيَقُولُ (142) )

هؤلاء الذين سيقولون وصفهم الله عز وجل بأنهم سفهاء .

#### تعريف السفيه :

من هو السفيه؟ السفيه هو الذي يبدد ماله أو قدراته بلا جدوى . أوضح مثل لو أن إنساناً أمساك ألف ليرة وأحرقها أمامك بلا سبب، وبلا هدف هو سفيه، وأنا مضطر أن أسوق الموضوع إلى فرع ثم أعود إلى أصل الموضوع، مركب في الإنسان أن الوقت أثمن من المال، بدليل أن الذي - لا سمح الله ولا قدّر- يصاب بمرض عضال، وهناك عملية جراحية في بلد بعيد، ربما أمدت في عمره بحسب قول الأطباء سنواتٍ معدودات، يبيع بيته وكل ما يملك ليجري هذه العملية التي يأمل أن يعيش من خلالها سنواتٍ معدودات، ما معنى ذلك؟ أن الوقت أثمن من المال، فالذي يبدد المال يُتهم بالسفه، والذي يبدد الوقت هو أشد سفاهة .

هذا الذي يجلس يمضي ساعاتٍ وساعاتٍ وراء المسلسلات التي لا طائل منها، هذا الذي يمضي ساعاتٍ وساعاتٍ في حديثٍ فارغ لا جدوى منه، هذا الذي يمضي ساعاتٍ وساعاتٍ في لعب النرد، هذا يُعد أشد سفهاءً من الذي يبدد المال لأنَّه يبدد الوقت الذي هو أثمن من المال، السفيه إنسان غير عاقل، إنسان يتلف الجوهر ويبحث عن الفحم، يُهمِل اللؤلؤ ويأخذ الأصداف، السفيه لا يلتقي إلى النفيس ويتجه إلى الخسيس، هذا هو السفيه .

ثم إنَّ الإنسان حينما يرفض شيئاً يعبر عن احتقاره له، إنَّ رفض بيته فلانه صغير، أو لأنَّه في منطقةٍ ليست مناسبة، أو لأنَّ اتجاهه نحو الشمال، إنَّ رفضت عملاً فلان دخله قليل، إنَّ رفضت فتاةً لأنَّ

أخلاقها لا تُعجبك، إنك حينما ترفض تحقر هذا المرفوض، إلا في شيء واحد حينما ترفض الدين فإنك تحقر نفسك:

( وَمَنْ يَرْغُبُ عَنْ مِلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ (130) )

( سورة البقرة )

السفيه هو الذي يردد النفيس ليأخذ الخسيس، هو الذي يرد الشمرين ليأخذ الرخيص، هو الذي يزهد في الآخرة ليأخذ الدنيا الفانية هذا سفيه، وكل إنسان ما عرف الله سفيه ولو كان أذكي الأذكياء ولو حمل أعلى الدرجات، السفاهة أن تعرض عن النفيس وتتبع الخسيس .

إذا كان الإنسان مع الشيطان فهمه الانتقاد:

هؤلاء الذي أشركوا، والذين ابتعدوا عن الله، والذين شردوا عنه، والذين غرقوا في المعاصي والآثام، هؤلاء عند الله سفهاء، والسفيه دائمًا يعترض، وينتقد، ويطعن . اجلس في أي مجلس تجد أن هم الناس الوحيد أن يطعنوا في الدعاة إلى الله، أن يطعنوا بالمؤمنين، ليس له هم إلا الطعن، لأنه بينما يطعن بيتهم أنه يستعيد توازنه، هو بينما خرج عن منهج الله، وحينما عصى الله عز وجل، وخالف قوانين فطرته اختل توازنـه الداخلي، فحينما يئتم المؤمنين الصادقين باتهاماتٍ باطلةٍ لا أصل لها هو يستعيد توازنه، فهوـلـاءـ السـفـهـاءـ رـأـواـ أنـ القـبـلـةـ تـحـوـلـتـ مـنـ مـكـةـ المـكـرـمـةـ إـلـىـ بـيـتـ المـقـدـسـ ثـمـ إـلـىـ مـكـةـ المـكـرـمـةـ:

( سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا (142) )

لماذا رجعوا إلى مكة المكرمة؟ بربكم لو أن هؤلاء الناس الذين وصفوا بأنهم سفهاء، وأنهم سيقولون هذا وكذا، لو أنهم سكتوا ماذا فعلوا؟ لو سكتوا لأبطلوا القرآن، من أجل أن تعلم أن إرادة الله طليقة، يفعل ما يشاء، وصفهم الله مسبقاً بأنهم سفهاء، وأنهم سوف يقولون هذا وكذا، وبالفعل هكذا قالوا:

( سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا (142) )

إذا كان الإنسان مع الشيطان يكون همه الانتقاد، لسانه لا يفتر، ينتقد دائماً، يجد متعة في النقد، عمل تخريبي، عمل شيطاني، عمل فيه أذى، ليس له هم ثان إلا أن ينتقد زيداً وعبيداً وفلاناً وعلاناً، هو لا يقدم شيئاً ولا يفعل شيئاً، هذا النموذج قذر، منحط، نموذج يكرهه الله عز وجل، ماذا قدمت؟ لا يقدم شيئاً، ينتقد كل شيء، من هذا القبيل :

( سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ (142) )

## ليس هناك مكان مقدس لذاته إلا أن يقدّسه الله عز وجل :

ليس هناك مكان مقدس لذاته . هذه نقطة مهمة جداً . ليس هناك مكان مقدس لذاته إلا أن يقدّسه الله عز وجل ، فالله عز وجل أمر الإنسان وهو سيد المخلوقات أن يقبل الحجر الأسود ، والتسلسل كما تعلمون ؛ جماد ، نبات ، حيوان ، إنسان . أمر الله أشرف مخلوق أن يقبل أقل مخلوق رتبة ، وفي منسك آخر أمره أن يرجم حجراً في الجمرات التي هي رمز لإبليس ، لا يوجد مكان مقدس ، الله عز وجل يقدس الشيء أو يهدر كرامة الشيء ، ولذلك سواء توجه المسلمون إلى بيت المقدس ، أم إلى مكة المكرمة ، هم يتوجّهون إلى الله عز وجل ، وليس هناك مكان مقدس في ذاته .

( فَلِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) )

يهديه الله عز وجل إلى طريق مختصر ، المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين ، يهدي من يشاء مرضاه الله عز وجل ، من يشاء رحمة الله ، من يشاء محبة الله ، من يشاء الفوز بالجنة والنجاة من النار .

( مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) )

أيها الأخوة ، لو أن الله عز وجل قال: تحولوا عن مكة المكرمة للعلة الفلانية ، وتوجهوا إلى بيت المقدس للعلة الفلانية ، هذا الأمر فقد قيمته التعبدية ، حينما أعطيك أمراً لمصلحتك الواضحة الصارخة أقول لك: افعل كذا من أجل كذا . أنت تقبل على تنفيذ هذا الأمر ، لا حبّاً بالأمر ، ولكن حبّاً بذاتك ، فقد الأمر قيمته المعنوية ، وقيمتها التعبدية . يقول لك أحدهم: أنا أصلي لأنني قرأت مقالة أن الصلاة فيها رياضة . ليس له أجر فيها ، ولا قيمة لهذه الصلاة إطلاقاً ، أو أن يقول: أنا أصوم لأنني شعرت أن الصيام أريح لجسمي ، أحس براحة ، أحس بخفة ، وأجد أمتعائي تحسنت ، ونشاطي ازداد ، فأنا أصوم والحمد لله . هذا ليس صيام تعبد ، هذا صيام رجيم ، هذا صيام مصلحة .

لو أن الأمر الإلهي جاء معملاً لفقد قيمته التعبدية ، توجّهوا إلى بيت المقدس للعلة الفلانية ، توجهوا إلى مكة المكرمة للعلة الفلانية ، إله عظيم يحب أن يرى انصياعنا لأمره ، لذلك قال علماء الأصول: علة كل أمرٍ أنه أمر .

## أمر الله هو المقدس :

لا أنسى هذا الموقف الذي وقفه إنسان غربي أسلم بعمق ، حين التقى بعالمٍ من علماء دمشق ، وطرح موضوع لحم الخنزير ، وهذا العالم أفالص وأفاصن ، وشرح وأطال وأطنب في مضار لحم الخنزير ، فابتسم هذا الإنسان الغربي المسلم وقال: كان يكفيك يا أستاذ أن تقول لي إن الله حرمه . يكفي ، كلام الله ، إله عظيم هو العلم ، والخبرة ، والرحمة ، والحكمة ، هو الخالق ، يقول لك: لا تفعل هذا . انتهى الأمر .

( سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فَلْنِهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي  
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142) )

ليس للأمكنة قداسةً بذاتها، إلا أن يأمرك الله أن تشد الرحال إليها، أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام وهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ يوحى، أن نشد الرحال إلى مكة المكرمة ، وإلى بيت المقدس، وإلى المدينة المنورة:

(( لَا تُشَدُ الرَّحَالُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدِ  
الْأَقْصَى ))

[البخاري عن أبي هريرة]

نرجو الله سبحانه وتعالى أن يتاح لنا في القريب العاجل أن نزور المسجد الأقصى. لا يوجد مكان مقدس في ذاته أمرنا الله عز وجل أن نشد الرحال إليه، فالتقديس هو لأمر الله، أمر الله هو المقدس، قال الله عز وجل: دعوا مكة لأن قريشاً يقولون إنها بيتنا وليس بيت الله، إنه بيتنا وبيت آبائنا وأجدادنا . وفيها ما لا يحصى من الأصنام، لذلك قال الله عز وجل: دعوا مكة المكرمة واتجهوا إلى بيت المقدس، ولعل في هذا الاتجاه الجديد حكمة بالغة ذلك أن الإسلام هو خاتم الأديان، أو خاتم الشرائع إن صح التعبير، وأن هذا الدين يستوعب كل الشرائع السابقة، فلذلك نحن نقدس بيت الله الحرام، ونقدس بيت المقدس الذي هو مهبط الرسالات السماوية، ومسرى نبينا عليه الصلاة والسلام .

لكن هذه الآية فيها إعجاز، أي أن الله عز وجل طليق الإرادة، وفي آية لحظة يسلب ما أعطاك إياه، فلو فكر هؤلاء الناس السفهاء لحظةٍ، هم وصفوا بأنهم سفهاء، وسوف يقولون كذا وكذا، لو سكتوا لأبطلوا القرآن، ولكنهم لا يستطيعون .

### مخاطبة الله عز وجل الأمة العربية :

قال تعالى:

( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا (143) )

يخاطب الله الأمة العربية :

( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا (143) )

هذا الموضوع يحتاج إلى بعض التفصيل، أمة وسطاً أي وسطاء بين الله وخلقه، وهذا تكريّم عظيم:

( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أَمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولُئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ (104) )

(سورة آل عمران: 104)

وقال:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ )

(سورة آل عمران الآية: 110 )

من أدق معاني كلمة

(كُنْتُمْ )

في هذه الآية، أي أن كلمة "كنتم" في هذه الآية تعني أصبحتم، أي عندما جاءتكم هذه الرسالة على رسول منكم من هذه الأمة العربية .

علة الخيرية:

قال تعالى:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ )

(سورة آل عمران الآية: 110 )

علة الخيرية أنكم:

(تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ )

(سورة آل عمران الآية: 110 )

لو أن هذه الأمة تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعادت بشراً من خلق الله عز وجل :

(وَقَالَتُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحَبَّاؤُهُ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بِلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ خَلْقٍ )

(سورة المائدة: من آية " 18 " )

أشرف مرتبة تنالها الأمة العربية أنها أمة وسط :

حينما نعصي، وحينما يهون أمر الله علينا، نهون على الله، وهذا ما ترونوه وكأن الله تخلى عنا، لأن أمر الله هان علينا فهنا على الله:

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَّابًا )

(سورة مريم)

وقال:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا (143))

أي أنتم وسطاء بين الله وبين خلقه:

(كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتَلَوُ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْكُمْ وَيَعْلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ

تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) فَادْكُرُونِي أَدْكُرْكُمْ (152) )

الدرس (95): تفسير الآيات 142 - 147 ، الدين الإسلامي هو دين الوسطية

(سورة البقرة)

فَإِذْكُرُونِي أَيْ أَنْتُ وَسَطَاءُ، أَيْ كَمَا هَدَيْتُكُمْ كُوْنُوا هَدَاءً لِلْخَلْقِ، وَهَذِهِ أَشْرَفُ مَرْتَبَةٍ تَنَالُهَا الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ،  
أَنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابَهُ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَجَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَسَطَاءً، أَوْ وَسَطَاءً بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنِ  
خَلْقِهِ، لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِسَيِّدِنَا سَلَمَانَ الْفَارَسِيِّ:

(( يَا سَلَمَانُ لَا تَبْغُضْنِي فَتُفَارِقَ دِيَنِكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَبْغُضُكَ وَبَكَ هَدَانَا اللَّهُ ؟ قَالَ: تَبْغُضُ  
الْعَرَبَ فَتُبْغُضُنِي ))

[الترمذني عن سلمان]

ديتنا يأمرنا أن نعيش الواقع بقيمة مثالية:

يجب أن لا يسترسل الإنسان في تعداد مثالب هذه الأمة، ليس هذا مقبولاً عند الله نرجو الله أن يصلح  
الناس جميعاً، وأن تكون وسطاء الله بين الله وبين خلقه، وأن نعيده لهذه الأمة مجدها، لأن النبي عليه  
الصلوة والسلام جاء في الجاهلية إلى أمة كانت تأكل الميتة، وتعبد الأصنام، وتسيء الجوار، وتقطع  
الرحم، وتكتنف، وهي غارقة في الخمور والربا، وغارقة في الزنا، كانت عشر أنواع من الانحرافات  
في الزواج متقشية فيها، كما قال سيدنا جعفر: " كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهْلِيَّةٍ نُعبدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ،  
وَنَأْتِيُ الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطِعُ الرَّحْمَ، وَنُسْيِئُ الْجَوَارَ، حَتَّى يَعْثُرَ اللَّهُ فِينَا رَجُلًا يَعْرِفُ أَمَانَتَهُ وَصَدْقَهُ  
وَعَفَافَهُ وَنَسْبَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنَعْبُدَهُ وَنَوْحِدَهُ، وَنَخْلُعُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ،  
وَأَمْرَنَا بِصَدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحْمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفْ عنِ الْمُحَارِمِ وَالدَّمَاءِ ".  
إِذَا أَمْةٌ وَسَطَاءُ، أَيْ وَسَطَاءُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنِ خَلْقِهِ . تَحَدَّثَ فِي خَطْبَةٍ قَدِيمَةٍ عَنِ الْوَسْطِيَّةِ فِي الإِسْلَامِ، وَهُوَ  
مَوْضِعٌ دَقِيقٌ جَدًّا، وَمُفَصَّلٌ، وَمَبْوَبٌ، أَرْجُو أَنْ تَعُودُوا إِلَيْهِ الْوَسْطِيَّةِ فِي الإِسْلَامِ .

( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَاءً (143) )

هناك أممٌ آمنت بالله متعددة، وهناك أممٌ أنكرت وجود الله، ونحن المسلمين آمنا بلا إله إلا الله:

( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَاءً (143) )

هناك أممٌ غرقـتـ فيـ المـادـةـ إـلـىـ قـمـةـ رـاسـهـاـ، وـهـنـاكـ أـمـمـ عـاشـتـ مـثـالـيـةـ خـيـالـيـةـ غـيرـ وـاقـعـيـةـ، هـؤـلـاءـ  
تـطـرـفـواـ، وـهـؤـلـاءـ تـطـرـفـواـ، أـمـاـ نـحـنـ وـالـحـمـدـ لـلـهـ فـدـيـنـاـ دـيـنـ الـوـاقـعـ، وـدـيـنـ الـفـطـرـةـ، بـلـ إـنـ دـيـنـاـ يـأـمـرـنـاـ أـنـ  
نـعـيـشـ الـوـاقـعـ بـقـيـمـ مـثـالـيـةـ، قـالـ عـلـيـهـ الصـلـوةـ وـالـسـلـامـ:

(( أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لَا خَشَائِمُ لِلَّهِ وَأَنْقَائِمُ لَهُ لِكَيْ أَصُومُ وَأَفْطِرُ وَأَصْلِي وَأَرْقُدُ وَأَنْزُوْجُ السَّيَّاءَ فَمَنْ رَغَبَ  
عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ))

[البخاري عن أنس بن مالك]

## ديننا دين الفطرة والوسطية:

نحن ديننا دين الفطرة، دين الوسطية، الإنسان مأمور أن يعبد الله وأن يسعى لرزق يومه، ما من شهوةٍ أودعها الله فينا إلا فتح لها قناءً نظيفةٍ تسرى خلالها، دين وسطي، الأمة التي تطرفت عادت الآن إلى وسطية الإسلام بضغط من الواقع، عادت شعوب الإسلام الآن مكرهةً . الأمة التي تطرفت عادت الآن إلى وسطية الإسلام بضغطٍ من الواقع السيئ الذي نتج عن هذا التطرف، لا عن تعبدٍ ولكن عن رجوع إلى مصالحها .

مثلاً الاتحاد السوفيتي حرم الخمر قبل أن ينهار، كثير من القوانين الآن تصدر مطابقة لتعليمات الشرع، مثلاً منعت بعض الجامعات في أمريكا الاختلاط، لأنهم وجدوا أن عدد اللقطاء في الحدائق أصبح لا حدود له، فحرمت الاختلاط، سمعت أن بعض البلدان في أوروبا حرمت الخمر، الخمر مثلاً حرم في السويد، لا يستطيع الإنسان هناك أن يشرب الخمر إطلاقاً إلى أن يذهب إلى الدنمارك، فالآن الشعوب المتطرفة يميناً أو يساراً عادت إلى الإسلام لا عن تعبدٍ، ولا عن طاعةٍ لله، ولكن عن مصلحةٍ، فديننا دين وسطي بين تعدد الآلهة وبين إنكار الآلهة، بين إنكار النبوة أو بين أن ينتمي الأنبياء كما في العهد القديم بالفسق والفجور والزنا وما إلى ذلك، أنبياؤنا عبادٌ مكرمون:

( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْغَالِمِينَ (33) )

(سورة آل عمران)

## بعض معاني الوسطية:

هناك من لا يعمل وهو زاهدٌ في الدنيا، وهناك من يعمل وينسى كل شيء، نحن أمرنا أن نعمل وأن نعبد الله وأن نصلِّي خمس صلواتٍ كل يوم، في أي موضوع وصفه الإسلام كان وسطياً، إذا ضربك إنسان على خدك الأيمن، في بعض الأديان يجب أن تدير له خدك الأيسر ليضربك عليه صفعه ثانية، ولكن الله عز وجل قال:

( وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَتَصْرِفُونَ (39) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (40) )

(سورة الشورى)

هناك وسطية، لو عدتم إلى هذه الخطبة الوسطية في الإسلام لو جدتم فيها كل شيء، بحث مطول جداً:

( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَّا (143) )

وسطاء من جهة، والوسط دائمًا مركز الدائرة، المركز في الوسط والمحيط يساوي الأطراف، فالإسلام في الوسط، مكان تقاطع الأفكار، لا يوجد تقاطع في التطرف، أما الوسط فيه تقاطع، هذا المعنى رياضي أيضًا، الشمس لا تكون في أشد سطوع إلا وهي في وسط النهار، فالوسط انتدال، والوسط قوة، والوسط عدل، والوسط توسط بين شيئين متطرفين، هذه كلها من معانٍ الوسطية:

( وَكُذِلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا (143) )

ديننا دين متوازن:

ديننا متوازن، بين عدم الزواج كلياً، وبين الزنا من دون قيد أو شرط، لدينا زواج، وفي حالات خاصة مسموح بثانية وثالثة ورابعة.

( وَكُذِلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا (143) )

ترك العمل تطرف، والانغماس بالعمل تطرف:

( وَكُذِلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطًا (143) )

وقال:

(رَجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبْيَغُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ (37) )

(سورة النور)

وقال:

( لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (143) )

تشهدون لهم الحق:

( وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (143) )

أعظم داعية هو الذي يتكلم من خبرات يعيشها :

أرسل الله عز وجل هذا النبي الكريم الذي هو سيد الأنبياء والمرسلين لهذه الأمة المباركة، وكلف هذه الأمة كما أن النبي شهد لها بالحق أن تشهد للناس بالحق . الذي يرى ويتكلم بما رأته عينه يكون كلامه بلغاً جداً، أما إذا سمع فقط !! إذا شخص لم يذهب إلى بيروت إطلاقاً، وقلنا له: صفت لنا بيروت، يقول: والله قرأت عنها أنها على الساحل، قرأت عنها أنها محاطة بجبال خضراء، ما أدرى مبلغ هذا الكلام من الصحة . أما لو عاش إنسان في بيروت وقلت له: صفت لنا بيروت . يتكلم بطلاقة وبوضوح، وبقوة تأثير عجيبة، ينقل لك خبراته، فلذلك إذا أراد الإنسان أن يدعوا إلى الله، يجب أن لا تتكلم بشيء لست

قانعاً به، لا تتكلم بشيءٍ لست واثقاً منه، لا تتكلم بشيءٍ لا تراه رأي العين، حينما تشهد أشهد للناس، لذلك أعظم داعية هو الذي يتكلم من خبرات يعيشها، من حائق يلمسها، من أفكار هو قانع بها، هذه هي الدعوة .

( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (143) )

هذه الأمة العربية التي شرفها الله وكرّها، ونقلها من رعاه الغنم إلى قادة الأمم، وأمرها أن تكون وسطاً بين الله وبين خلقه، ماذا حل بها ؟

مرة كنت في أمريكا، سمعت خطبة لإنسان باكستاني، قال في هذه الخطبة شيئاً لطيفاً، وهو يخاطب المسلمين وأكثرهم من الأمة العربية - توجد جالية عربية كبيرة جداً في مدينة هناك - قال: أنت سادتنا نحن بكم هدانا الله عز وجل، لولاكم لكنا عباداً للأصنام، عباداً للنيران - ذكر من فضل هذه الأمة على بقية الشعوب ما يشعر الإنسان بأن هذه الأمة أعلى الأمم - قال: ما لكم نسيتم هذه المهمة، ما لكم نسيتم هذا الشرف العظيم الذي منحكم الله إياه، أنت في بلاد تبيعون الخمر، أهكذا كان آباؤكم وأجدادكم؟! بعد أن أثني على هذه الأمة الثناء العطر، ذكر مثالبهم في بلاد الغرب، فأنت يجب أن تقترن أنت تنتمي إلى أعظم أمة، إلى أمةٍ أنزل الله القرآن الكريم بلسانها .

واقع الأمة المؤلم:

قال تعالى:

( إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِعَكُمْ تَعْقِلُونَ (3) )

(سورة الزخرف)

وقال:

( بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُبِين (195) )

(سورة الشعراء)

تنتمي إلى أمة هي الوسيطة بين الله وبين خلقه، وسيطة، ومتوسطة، ومحسنة، وقوية، ونيرة، وعادلة، هذه معانى الوسيطية كلها .

( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (143) )

إنك حين ترى واقع الأمة المؤلم، لماذا تنتمي؟ أين كنا وأين أصبحنا؟ فبعض المسلمين أو أكثرهم فتنوا بالغرب، فعاشوا حياة الغرب، ونسوا دينهم، والأمانة التي حملهم الله إليها، وعاشوا في انقسام في شخصيتهم، يعتزون بدينهم وبماضيهم، ويضربون في هذه الحضارة المتوجهة التي نسوا فيها أوامر

ربهم، هذه حالة صراع، وحالة انفصام شخصية، تصيب كل إنسان لم يقو إيمانه بحيث يتجاوز كل هذه العقبات والصوارف، بل جعله إيماناً وسطاً، إيماناً ضعيفاً جذبه هذه القرى من يمين أو من شمال .  
**( وَكُلُّكُمْ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِيلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقِلِبُ عَلَى عَقْبِيهِ ) (143)**

### التحول للقبلة امتحان عبودية:

التحول للقبلة امتحان عبودية، إذا كان الأب جالساً على المائدة، والطعم نفيس، وابنه جائع، ولهذا الأب بد طويلة في تربية ابنه وفي إكرامه، قال له: يا بني لا تأكل . فإذا كان هذا الابن يعرف قدر أبيه، وحكمة أبيه، ومحبة أبيه، ورحمة أبيه ينساك للأمر ولو لم يفهم الحكمة . بطولتك أن تنساك للأمر ولو لم تفهم الحكمة، لماذا ؟ لأن الحكمة إذا توضحت تماماً فقد الأمر قيمة التعبدية، وأقبلت عليه طمعاً بمصلحتك الشخصية، لكن الله يريدك عبداً له، لذلك من حين لآخر تأتي أوامر قد لا تفهمها أنت:  
**( إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقِلِبُ عَلَى عَقْبِيهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكِبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ) (143)**  
الإنسان غير المهدي، المتعلق بالتقاليد والعادات لا يتحمل، فيقول لك مثلاً: هذه الكعبة بيت الله، لماذا انصرف عنها المسلمين إلى قبلة اليهود ؟!  
**( وَإِنْ كَانَتْ لَكِبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ) (143)**

### زوال الكون أهون عند الله من أن تدع شيئاً لله دون أن تأخذ شيئاً أثمن منه:

الله عز وجل خلقنا ليسعدنا، وخلفنا لنصل إليه، وخلفنا كي نعرفه، فهل يعقل أن يكون من أفعال الله ما يبعده عنده ؟ مستحيل، أب همه الأول أن يكون ابنه متعلمأً، فهل من المعقول أن يمنعه يوم الامتحان من تقديم الامتحان ؟ هذا يتناقض مع هدف الأب كلياً .

**( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ) (143)**

والله أيها الأخوة، والله الذي لا إله إلا هو، هذه عبارة استخدمنا كثيراً: زوال الكون أهون على الله من أن تتودد إلى الله ثم يضيعك، من أن تؤثر جانب الله على مصالحك ثم يضيعك، زوال الكون أهون عند الله من أن تدع شيئاً لله دون أن تأخذ شيئاً أثمن منه:

**(( ما ترك عبد الله أمراً لا يتركه إلا الله إلا عوضه الله منه ما هو خير له منه في دينه ودنياه ))**

[الجامع الصغير عن ابن عمر]

هذا كلام مستحيل، مستحيل أن تخاف من الله وأن يخيفك من أحد، مستحيل وألف مستحيل أن تقلق على مصيرك في الآخرة وأن تصيب الآخرين:

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيِّعَ إِيمَانَكُمْ (143) )

هذه

( وَمَا كَانَ اللَّهُ )

أيها الأخوة أشد أنواع النفي في القرآن، أنا مثلاً أسأل إنساناً: هل سرقت هذا المبلغ؟ إذا قال لك: لا . هو قد يكون سارقاً، ولكنه لم يسرق هذا المبلغ، أما إذا قال لك: ما كان لي أن أسرق . إذ قلت له: هل أنت جائع؟ يقول لك: لا . الجوع ليس عاراً، أما إذا قلت له: هل أنت سارق؟ يقول لك: كلا . أدلة ردع ونفي، أو ما كان لي أن أسرق، أي هذا ليس من شائي، ولا من طبيعتي، ولا من مكانتي، ولا من رغبتي، ولا أرضاه، ولا أفعله، ولا أفكر فيه، ولا أقر عليه، هناك تقريباً عشر أفعال منطقية في كلمة: وما كان الله .

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيِّعَ إِيمَانَكُمْ (143) )

مستحيل أن تستوي حياة المؤمن مع حياة الشارد عن الله لأن هذا يتناقض مع وجود الله :

لا تخاف، ما دمت تطلب الحقيقة، ما دمت تخطب ود الله عز وجل لن يضيعك الله عز وجل، وهناك آلاف القصص التي لا تنتهي عن إنسان آخر جانب الله فكب الدنيا والآخرة، ولا تنسوا هذه العبارة أردها كثيراً: من آخرته على دنياه ربحهما معًا، ومن آخرته على دنياه خسرهما معًا .

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيِّعَ إِيمَانَكُمْ (143) )

تقبل عليه، تخطب وده، تصطلاح معه، تطيعه، تخدم له عباده، تخاف من سخطه، تخاف أن تعصيه، ويعاملك مثل الناس؟!! والله هذا يتناقض مع وجود الله:

( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّنَا جَعَلْنَاهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ )

(سورة الجاثية الآية: 21)

أ تكون حياتك كحياة الشارد عن الله؟! مستحيل، حياتك، عملك، صحتك، زواجك، سمعتك، مستقبلك، مكانتك، مستحيل أن يستوي هؤلاء مع هؤلاء هذا يتناقض مع وجود الله:

( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّنَا جَعَلْنَاهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ )

(سورة الجاثية الآية: 21)

## مستحيل أن يعامل المؤمن كالكافر :

قد يقول قائل: المعاملة بالأخرة فقط، لا، لا، بالدنيا أيضاً، والدليل :

( سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ )

(سورة الجاثية الآية: 21)

هذه الآية وحدها أيتها الأخوة والله تملأ قلوبكم أمناً وطمأنينة، تملأ قلوبكم ثقة بالله عز وجل، من سبع المستحبيلات، مستحيل وألف مستحيل أن يعامل المؤمن كالكافر، المستقيم كالمنحرف، الصادق كالكاذب، الأمين كالخائن، المحسن كالمسيء، مستحيل .

( أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّ جَعْلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ )

(سورة الجاثية الآية: 21)

أيها الأخوة الكرام:

( أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) )

(سورة السجدة)

وقال:

( أَفْجُلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ )

. (سورة القلم)

وقال:

( أَفَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَا يَقِيهِ كَمَنْ مَتَعَاهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ )

(سورة القصص)

## لا يستوي المحسن مع المسيء:

قال تعالى:

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ (143) )

شخص يسكن بأطراف المدينة، ركب أول سيارة، وثاني سيارة، وأمضى ساعة على الطريق، وبقي ساعة جالساً على ركبتيه في المسجد، لا يوجد كأس من الشاي، ولا يوجد ضيافة، ولا أي شيء، ثم يعود إلى البيت، استهلك من وقته ثلاثة ساعات، هل يستوي مع إنسان يجلس وراء جهاز اللهو يتبع المسلسلات، وهذا كهذا؟! هل يستوي من يأتي مجلس علم مع لاعب الترد حتى الساعة الثانية مساءً

معقول ؟ إنسان يجلس في بيت الله يستوي مع إنسان في جلسة مختلطة ؛ نساء كاسيات عاريات وغمز ولمز هذا مع هذا ؟ إنسان يخشى المال الحرام، يركل بقدمه مئات الألوف لشبهة فيها، وهناك إنسان يأخذ المال من أي طريق وبأي طريقة ! هذا كهذا مستحيل، والله لو استويا لكان الدين كله باطلًا، مستحيل وألف مستحيل أن يستوي المحسن مع المسيء، الورع مع المتساهم، كل شيء بحساب دقيق.

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ (143) )

أ الإنسان يغض بصره عن محارم الله كالذى يملا عينيه من الحرام ؟ أهذا كهذا عند الله عز وجى ؟ إن توهمت أنهما متساويان أنت بهذا تشكك في عدل الله، وفي رحمة الله، وفي حكمة الله، مستحيل، كن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك .

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ (143) )

**النبي عليه الصلاة والسلام منصاع لأمر الله لكنه يتمنى أن تكون القبلة في مكة المكرمة:**

امرأة تخشى الله، تحجبت محبة الله، يقول الغافلون عنها: لا أحد يخطبها ؛ أما المتفانية والفاشنة والفاجرة والتي تعرض مفاتنها على الناس هذه التي تخطب . هل هذا كلام ؟ هذا كلام إبليس، امرأة طائعة الله ترجو الله واليوم الآخر لها عند الله مكانة كبيرة جداً، هذه يهوى الله لها من يكرمهها، ومن يحفظها، ومن يقودها إلى الجنة . هناك كلام شيطاني، إذا لم نعمل معصية نخسر، هذا كلام الشيطان بعينه، إذا لم يكن هناك اختلاط لا تخطبُ البنت، هكذا عند الناس، مثلًا إذا لم تظهر مفاتنها لا أحد يعرفها .

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ (143) )

إذا لم نكذب لا نعيش وعندنا أولاد، هكذا كلام الناس، إذا لم نعش لا نعيش، يجب أن نكون مثل الناس ماذا نفعل ؟ الناس كلها تعش ونحن مع الناس، هذا كلام الشيطان:

( أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتُوْنَ (18) )

( سورة السجدة)

وقال:

( وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (143) )

النبي عليه الصلاة والسلام منصاع لأمر الله، لكن عواطفه كانت أن تكون القبلة في مكة المكرمة:

( قُدْ ثَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ (144) )

## النبي عليه الصلاة والسلام كان يقارب وجهه في السماء منتظراً الوحي:

أي ينتظر الوحي من السماء، يا رب أنت حولت القبلة إلى بيت المقدس هل من عودة إلى بيت الله الحرام؟ كان عليه الصلاة والسلام يقارب وجهه في السماء منتظراً الوحي:

( قدْ نَرَى (144) )

نرى فعل مضارع، أي الآن:

( قدْ نَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَيْكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا (144) )

تفق مع عواطفك، لما خرج من مكة المكرمة، قال عليه الصلاة والسلام:

(( اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْنِي مِنْ أَحَبِّ الْبَقَاعِ إِلَيَّ فَأَسْكُنِي فِي أَحَبِّ الْبَلَادِ إِلَيْكَ ))

[الجامع الصغير عن ابن عبد البر]

فسكن في المدينة المنورة، فمكة المكرمة من أحب البلاد إلى رسول الله .

( فَلَوْلَيْكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحِينَ مَا كُنْنَا فَوْلَوْا وَجُوهُكُمْ شَطَرَهُ

(144)

هذه القبلة تجمع المسلمين في اتجاه واحد، أينما ذهبت ؛ إلى بلاد أمريكا، إلى أوروبا، إلى آسيا، إلى اليابان، يجب أن تتوجه نحو بيت الله الحرام .

## مكة المكرمة هي الوسط الهندسي للإيابسة :

بالمناسبة مكة المكرمة وسط هندسي للإيابسة، لو أخذنا العالم القديم ورسمناه على الخارطة وأخذنا أبعد مدن هذا العالم وجعلناها نقاطاً على محيط العالم، ووصلنا بين هذه المدن فكانت أقطاراً، أقطار العالم القديم تتقاطع في مكة المكرمة، أي أن مكة تبعد عن أقصى مدينة في آسيا، وأستراليا، وأوروبا، وإفريقيا ثمانية آلاف كيلو متر، ولو ضمن العالم الجديد أمريكا الشمالية والجنوبية، فجعلناها خارطة مسطحة، وأخذنا أقطار العالم الجديد مع القديم، لتقاطعت هذه الأقطار في مكة المكرمة، فمكة تبعد عن أطراف العالم القديم مع الجديد ثلاثة عشر ألف كيلو متر بالضبط، هذا في بحث دُم للجامعة حول أن مكة المكرمة هي الوسط الهندسي للإيابسة .

( فَلَوْلَيْكَ قِبْلَةَ تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحِينَ مَا كُنْنَا فَوْلَوْا وَجُوهُكُمْ شَطَرَهُ

(144)

لكن ليست القبلة هي الكعبة بالذات، وإنما هي جهة الكعبة، بالجهة تحل مليون مشكلة، أما لو أن القبلة هي الكعبة بالذات لاحتاجنا في كل مسجد إلى قياس دقيق جداً، وقد تختلف القبلة زاوية درجة أو درجتين، أما القبلة هي خط، خط مكة المكرمة، فهي نحو الجنوب .

(وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْثَوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) )

ورد في التوراة أنه سيأتي نبي المسلمين هو محمد بن عبد الله، وسوف تتحول القبلة عن مكة المكرمة إلى بيت المقدس، وتعود إلى مكة المكرمة .

( وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْثَوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) )

إن أراد الإنسان أن يؤمن فلما شاء يدله على الله :

أيها الأخوة، هؤلاء الذين أوتوا الكتاب، والذين عرروا من خلال كتابهم المقدس أن القبلة سوف تتحول إلى بيت المقدس، ومع ذلك أنكروا على النبي الكريم أن يتجه إلى قبلتهم، فقالوا: تعارض ديننا وتنتجه إلى قبلتنا . ومشاركة مكة المكرمة أنكروا على النبي ذلك لأن هذه الكعبة بيت آباءهم وأجدادهم .

( وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْثَوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) )

الإنسان الذي يعلم الحقيقة ويتكلم خلافها هذا مجرم، الذي تكلم بلا علم آخر، أما الذي يتكلم بخلاف ما يعلم فهذا مجرم .

(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْثَوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبْعُدُوا قِيلَتَكَ)

لمن الآيات ؟ لمن يريد أن يؤمن، أما حينما لا يريد الإنسان أن يؤمن، لو التقى بالأنبياء جميعاً واحداً واحداً، وشاهد كل معجزاتهم واحداً واحداً لا يؤمن، الإنسان يؤمن إذا أراد أن يؤمن، إن أراد أن يؤمن أي شيء يدلله على الله، وإن رفض أن يؤمن لو جلس في أكبر قاعدة في الفضاء الخارجي، ورأى المجرأات المئات ألف مليون مجرة بشكل مدهش لا يؤمن، لو رأى الخلايا في جسم الإنسان تحت مجهر إلكتروني لا يؤمن، لو رأى الآيات التي لا تعد ولا تحصى لا يؤمن، لأنه كآلية بالغة التعقيد - آلة تصوير- ولكن لا يوجد فيها فيلم، فمهما لقطت هذه العدسة من مناظر رائعة، هو لم يرد الحقيقة وقلنا لا يوجد عنده فيلم، لا يصور شيئاً، وأصغر آلية تصوير، وأرخص آلية تصوير مع الفيلم تلتقط صورة، فالقضية قضية أن تربى الحقيقة أو لا تربى، إن أردتها وجدتها في كل شيء، وإن عزفت عنها لن تجدها في أكبر شيء .

**الكون بحد ذاته معجزة فإن لم تؤمن به في وضعه الراهن الطبيعي فلن تؤمن إذا حُرقت نواميسه:**

قال تعالى:

( وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْثَوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبْعُدُوا قِبْلَتَكَ (145) )

أي أن الذين شاهدوا البحر صار طريقاً يبسأ، هل هناك من آيةٍ أعظم من ذلك . فلما خرجوا من اليم قالوا:

( قَالُوا يَا مُوسَى اجْعُلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ إِلَهٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) )

(سورة الأعراف)

الذين رأوا الناقة تخرج من الجبل، الذين رأوا إبراهيم في النار لم يحترق، رأوا المعجزات ومع ذلك لم يؤمنوا، فالكون بحد ذاته معجزة، فإن لم تؤمن به في وضعه الراهن الطبيعي لن تؤمن إذا حُرقت نواميسه .

( وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْثَوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبْعُدُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ (145) )

هناك أشياء متناقضة كيف نجمعها ؟ يقول لك: وحدة الأديان . لا يمكن، أشياء كلها متناقضة:

( وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْثَوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبْعُدُوا قِبْلَتَكَ (145) )

**الآيات التالية تخاطب أمّة محمد عليه الصلاة والسلام:**

هذا كلام الله عز وجل:

( وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ (145) )

طبعاً مستحيل أن يتبع النبي أهواهم، ولكن هذه الآية لأمته من بعده، أي يا أمّة محمد، ولئن اتبعت أهواهم، هو الكافر أن تكون على شاكلته، هو الكافر أن تكسب المال الحرام، هو الكافر أن تكون المرأة مُتعة للجميع، هو الكافر أن تعيش الدنيا فقط، هو الكافر أن تتكتل تكتلات مصلحة، ليست على حق .

( وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ (145) )

أي يا أمّة محمد إياكم أن تتبعوا أهواه الكفار، لا يقودكم إلا إلى الشر، إلا إلى الضياع، إلا إلى النفثت، إلا إلى التشرذم، إلا إلى الفقر .

( وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِذَا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (145) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ (146) )

بعض علماء التفسير قال: يعرفون النبي كما يعرفون أبناءهم . وبعض علماء التفسير قالوا: يعرفون تحول القبلة كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك أنكروا .

( وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) )

كتم الحق جريمة:

( لِيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (147) )  
الممترین أي المتشككين .

والحمد لله رب العالمين